

الرؤية وراء المجموعة والمعرض

إن تشكيل هذه المجموعة، كان واحداً من أكثر إهتمامات الشيخ ناصر إلحاحاً عبر ربع قرن من الزمن، ولا نُغالي بالقول أنه يتبوأ مركز الريادة في نشاطه في هذا المجال. وقد يكون من المستحيل أن أبيّن الى أي مدى كانت درايتي وخبرتي في هذا الفرع من الفن، نتاجاً لتنشر في دراسة هذه المجموعة، والعمل مع الشيخ ناصر في هذا السياق، فهو يذهلك بعينه الثاقبة في التقاط الجمال والجودة، وغيرها من السمات المعقدة، فضلاً عن ذاكرته الفولاذية، وتمتعه بالإحساس بما هو مهم. إِنَّ شَعَفَهُ بِتَأْمَلِ الأَعْمَالِ الفنية، وحلمه بتلك التي لم تخرج إلى النور بعد، يخلقان جوّاً من العدوى السارة. كما أنّ تواضعه ودماثة خلقه، واستعداده الدائم لمناقشة كل ما يتعلّق بالقطع قيد الدراسة، يشكّل حافزاً مشجّعاً لقرنائته الذين يشاطرونه الوله، لبذل غاية جهودهم في هذا السبيل.

أخيراً، فقد يغفل البعض قناعة الشيخ ناصر الراسخة، والتي تجد ما يبررها بوضوح، بأن المجوهرات والمصوغات بشكل عام، وخاصة تلك المصنوعة في شبه القارة الهندية بالذات هي أعمال فنية يجب حملها على محمل الجد، ومنح صائغيها أعلى مراتب الاحترام والتقدير وهنا، وكما في العديد من وجهات النظر الأخرى، يلتقي موقفي الذي التزمته منذ زمن بعيد مع رؤيته ويشكلان واحداً من الأسس العديدة لهذه الزمالة المثمرة.

ويكفينا لبيان هذه الرؤية وحسن الإنتقاء اللذين كانا وراء تشكيل هذه المجموعة، أن نتذكر بأنها مجموعة لا نظير لها على الإطلاق. إذ أنه حتى في كبرى المتاحف، لم تبلغ القناعة حتى الآن بأهمية المجوهرات كفن قائم، ما يسمح لتلك المؤسسات باقتناء قطع مهمة من فنون المصوغات الهندية إلا في بعض الحالات المتفرقة. وحتى في تلك الحالات النادرة جداً، التي يكون أمين المتحف متحمساً لحياسة مثل هذه المصوغات، فإن ثمن هذه التحف كقطع فنية ضمن دائرة محدودة من جامعي التحف (وهي عادةً القيمة الفعلية للقطعة)، يكون باهظاً يحول دون قدرة أمين المتحف على إقناع مجلس الأمناء بتخصيص التمويل اللازم لمثل هذه الحيازة، وخاصة في وجود تنافس على مثل

هذا التمويل من قبل أقسام أخرى من المتحف، يشجعون اقتناء قطع فنية تلقى رواجاً أكبر بوجه عام، كاللوحات والمنحوتات، أو قطع ذات منزلة فنية راسخة.

وعلى الرغم من أن النزر اليسير فقط من مقتنيات مجموعة الصباح قد أُعلن عنها، وشاركت في المعارض والمؤلفات المهمة، إلا أنَّ الغالبية العظمى من المقتنيات ظلَّت غير معروفة ولم ينشر عنها، بإستثناء ما قدمه المؤلف منها وناقشها في محاضرات متخصصة، وهذه تتضمَّن كنوزاً لا تخطر على البال بالنسبة لتاريخ المجوهرات،، وهي لا تتألف من روائع منفردة من التحف فحسب بل من مجموعات من أنماط لم تعرف بعد أدبيات هذه الفن.

وربما حَقَّقَ عرض هذه المجموعة للجمهور على المزيد من الدراسات العلمية في هذا المجال والإرتقاء بالوعي بهذا الفن وغيره من الفنون الهندية، وفن المصوغات بشكل عام، كما سَيُلهم الأجيال القادمة من الفنانين الذين ستحفزهم الإنجازات التي حققتها مئات الأجيال من فناني شبه القارة الهندية، هؤلاء الذين صبُّوا كل جهدهم ومهاراتهم وثقافتهم وإبداعهم في قطع صنعت من مواد ثمينة.

